المشرق

اثر مجهول لابن سينا

عُني بنشره حضرة الاب لويس معلوف اليسوعي

تَوْطئة

ان في تاريخ الاطبّاء لابن ابي اصيبعة كلاماً مسهباً مدققاً في مؤلفات ابن سينا فسرد لها جدولاً واسماً وعدَّدها حتَّى اصغرها واقلها قدراً لكنهُ اغفل مقالة للشيخ الرئيس في السياسة كانت ولم تزل نادرة الوجود فني هذه الاقطار لم يقع نظرنا على نسخة منها ولا بلغنا من امرها شيء . والعلاَّمة كارا ده فو الذي تفقَّد ما طُبع في اوربا وسواها من تآليف ابن سينا او ما استلفت منها انظار المستشرقين قد قال في اثناء كلامهِ عن كتبهِ الفلسفية « ان ما وضعهُ ذلك الامام في الفلسفة الادبية لهو نزر قليل واننا يُعرف لهُ في هذا الباب رسالة في الاخلاق مصونة في احدى كتبخانات الاستانة (١ » فالعلاَّمة المذكور هو ايضاً قد اغفل هذه الرسالة على انهُ كان يحقّ لما ذكر وهي كما نرتئيهِ حلقة ثمينة من سلسلة مباحث ابن سينا الفلسفيَّة

ومسَّ رأى هذا الاثر الجليل في جملة مخطوطات زمانهِ الحاج خليفا فذكرهُ منذ اربعمائة سنة في كتابهِ كشف الظنون (طبعة اوربَّة ٣ : ٤١٢) ولم يتَّسع في وصفهِ كأنهُ لم يجد موجباً للامر مع شهرة الكتاب

على انَّ هذا التأليف النفيس لم يُفقَد والحمد لله . فان مكتبة ليدن الشهيرة في هولندة تحتوي منهُ نسخةً في احد مجاميعها الفلسفيَّة وهو مجموع ثمين يتضمَّن ١٣ رسالة من رسائل الشيخ الرئيس كُتبت على عهدهِ كما يُستدل من بعض الحواشي التي يقال فيها انَّ الكتاب بيع بيعاً شرعياً للمسمَّى محمَّد بن محمَّد بن احمد سنة ٤٠٨ (١٠١٨م) اعني عشرين سنة قبل وفاة ابن سينا . واكثر هذه الرسائل معروفة منها عدَّة نسخ مخطوطة وبعضها نُشر بالطبع . إلاَّ الخامسة منها فهي ضالَّتنا المنشودة اعني رسالة الشيخ الرئيس في السياسة

(١ Carra de Vaux: *Avicenne*, p. 150

فا وقفنا عليها حتى تحققنا ما لها من الشأن الخطير اذ ليس في مكاتب اوربة نسخة سواها فاسرعنا الى اخذ صورتها ولم يكن ذلك دون شديد العناء لانّ النسخة المذكورة هي غفل لا نقط فيها على الاحرف ولذا يصعب مرارًا كثيرة تحقيق الكلمة وادراك المعنى . لكن كل عناء عددناهُ راحةً لرغبتنا في تعريف هذه الدرة واهدائها للقرّاء الكرام

ولا حاجة لتنبيه على ان كلمة السياسة في عرف الاقدمين من فلاسفة العرب يراد بها على وجه الاطلاق تلافي الخلل واصلاح ما فسد . ولمّا كان الاحرى والاجدر بالانسان اصلاح ما فسد فيهِ او بسببهِ قد وضع البعض منهم مقالات ورسائل تختلف محتوياتها ابوابها ولكن مرجعها الى ما قلنا . وقد سبق المشرق فنشر في سنتهِ الرابعة رسالة في السياسة لابي نصر الفارابي نذكر هنا تقاسيمها مع تقاسيم رسالة ابن سينا فنرى من هذه المقابلة منهج ذينك الرجلين العظيمين في هذه المباحث والفرق بين الرسالتين

فالفارابي بعد المقدمة تكلم ١ً عن سياسة المرء مع روساتهِ ٢ً عن سياستهِ مع اكفائهِ ٣ً عن سياستهِ مع من دونهُ وختم كلامهُ بذكر سياسة المرء نفسهُ . اما ابن سينا فقسم رسالتهُ خمسة اقسام هذه اسماؤها: ١ً في سياسة الرجل نفسهُ ٢ً في سياسة الرجل دخلهُ وخرجهُ ٣ً في سياسة الرجل اهلهُ ٤ً في سياسة الرجل ولدهُ ٥ً في سياسة الرجل خدمهُ . وقد اتى في مقدمتهِ على ما يبين حكمة تقسيم المادّة كما سبق

كتاب السياسة

بسم الله الرحمن الرحيم

وما توفيقي الّا بالله . عليهِ توكلت وهو حسبي

الحمد لله الذي نهج لعبادهِ بما دلّهم عليهِ من حمدهِ سبيل شكرهِ وأشرع لهم بما هيّأهم لهُ من شكرهِ ابواب مزيدهِ ومنّ عليهم بالعقل الذي جعلهُ لدينهم عصمةً ولدنياهم عمادًا وقائمة وجاههم بالنطق الذي جعلهُ فرقًا بينهم وبين البهائم العجم والأنعام البكم . فالحمد لله حمدًا كثيرًا على ما عمّ من حسن تدبيرهِ وشمل من لطف تقديرهِ حتى حاز كل صنف من اصناف خلقهِ حظه من المصلحة واستوفى كل نوع سهمهُ من المرفق والمنفعة . فلم يُفُت جميلُ صنعهِ صغيرًا ولا كبيرًا بل افاض عليهم جميعًا من سوابغ نعمهِ وشوامل مواهبهِ ما صلحت بهِ احوالهم وتمّ بمكانهِ نقصهم وقوي

من اجلهِ عجزهم . ثم خصَّ بني آدم بخصائص من نعمهِ فضَّلهم بها على كثير من خلقهِ فجعلهم احسن الخلق وطبائعهم اكمل الطبائع وتركيبهم اعدل التركيب ومعيشتهم انعم المعاش وسعيهم في منقلبهم اردّ السعي الى العقول الرضيَّة التي امدَّهم بها والاعلام الراجحة التي أيَّدهم بفضلها والآداب الحسنة التي البسهم جمالها والاخلاق الكريمة التي زيَّنهم بشرفها مع التمييز الذي اراهم بهِ فرق ما بين الخير والشر وخلاف ما بين الغي والرشد وفضَّل ما بين الصانع والمصنوع والمالك والمملوك والسانس والمسوس حتى صار ذلك طريقًا لهم الى معرفة (١ ما بين الخالق والمخلوق وسبيلًا واضحًا الى تثبيت الصانع القديم إلَّا بجحود عنادٍ او مكابرة عيان

التفاوت بين الناس في الصفات والرتب

ثم منَّ عليهم بفضل رأفتهِ منًّا مستأنفًا بان جعلهم في عقولهم وآرائهم متفاضلين كما جعلهم في املاكهم ومنازلهم ورتبهم متفاوتين لما في استواء احوالهم وتقارب اقدارهم من الفساد الداعي الى فنائهم لما يُلقي بينهم من التنافس والتحاسد ويثير من التباغي والتظالم . فقد علم ذوو العقول ان الناس لو كانوا جميعًا ملوكًا لتفانوا عن آخرهم ولو كانوا كلهم سوقة لهلكوا عيانًا بأسرهم كما انهم لو استووا في الغنى لما مَهَنَ احدٌ لاحد ولا رفد حميم حميمًا ولو استووا في الفقر لماتوا ضرًّا وهلكوا بؤسًا . فلمَّا كان التحاسد من اطباعهم والتباهي من سُوسهم وفي اصل جوهرهم كان اختلاف اقدارهم وتفاوت احوالهم سبب بقائهم وعلَّة لقناعتهم . فذو المال القُلّ من العقل المُقِلّ من الادب المُدرك حظهُ من الدنيا بأهون سعي اذا تأمل حال العاقل المحروم واكدار الحُوَّل (٢ القُلَّب (٣ ظنَّ بل ايقن ان المال الذي وجدهُ مغيرٌ من العقل الذي عدمه . وذو الادب المعدم اذا تفقَّد حال المثري الجاهل لم يشك في انهُ فُضِّل عليهِ وقُدِّم دونه وذو الصناعة التي تمرد عليهِ بها (64ᵀ) يملك رمقهُ لا يغبط ذا السلطان العريض ولا ذا الملك المديد وكل ذلك من دلائل الحكمة وشواهد لطف التدبير وامارات الرحمة والرأفة

١) وفي الاصل: المعرفة
٢) الشديد الاحتيال
٣) البصير بتقليب الامور

لزوم التدبير والسياسة لجميع الناس

واحقُّ الناس واولاهم بتأمل ما يجري عليه تدبير العالم من الحكمة وحسن واتقان السياسة واحكام التدبير الملوكُ الذين جعل الله تعالى ذكرهُ بايديهم ازمّة العباد وملّكهم تدبير البلاد واسترعاهم امر البرّية وفوّض اليهم سياسة الرعيّة. ثم الامثل فالامثل من الولاة الذين أُعطوا قياد الامم واستكفوا تدبير الامصار والكُوَر ثم الذين يلونهم من ارباب النعم وسوّاس البطانة والخدم ثم الذين يلونهم من ارباب المنازل وروّاض الاهل والاولدان. فان كل واحد من هؤلاء راعٍ لما يحوزه كنفهُ ويضمّه رَحله ويدبّره امره ونهيه ومن تحت يده رعيّتُهُ

ويحتاج اصغرهم شأنًا واخفّهم ظهرًا وارقّهم حالًا واضيقهم عَطَنًا (١ واقلهم عددًا من حسن السياسة والتدبير ومن كثرة التفكير والتقدير ومن قلة الاغفال والاهمال ومن الانكار والتأنيب والتعنيف والتأويب والتعديل والتقويم الى جميع ما يحتاج اليه الملك الاعظم

بل لو قال قائل ان الذي يحتاج اليهِ هذا من التيقّظ والتنبّه ومن التعرّف والتجسّس والبحث والتقير والفحص والتكشيف او من استشعار الخوف والوجل ومجانبة الركون والطمأنينة والاشفاق من انتفاق الربق واختلال السدّ أكثرُ لأصاب مقالًا . لان الفذّ الذي لا ظهير لهُ والفرد الذي لا معاضد لهُ احوج الى حسن العناية واحقّ بشدة الاحتراز من المستظهر بكفاية الكفاة ورفد الوزراء والاعوان ولان المعدم الذي لا مال لهُ يحتاج من ترفّح (٢ العيش ورمّة (٣ الحال الى اكثر ما يحتاج اليهِ الغنيُّ الموسر

ولعل منكرًا ينكر تمثيلنا احوال السوقة باحوال الملوك او عائبًا يعيب موازنتنا بين الحالين او قادحًا يقدح في مساواتنا بين الامرين. فليعلم المتكلف في النظر في ذلك ان تكلمنا في تقارب الناس في الاخلاق والخلق وفي حاجات الانفس وفي دواعي الاجساد والمنازل دون المراتب والاخطار والاقدار

اهل الانسان

ثم ليعلم ان كل انسان من مالك وسوقة يحتاج الى قوت تقوم بهِ حياته ويبقى

١) اي اضيقهم حالًا ومالًا

٢) يقال ترفّح لعياله اي تكسّب لهم ٣) رمّة الحال اصلاحها

شخصه ثم يحتاج الى إعداد فضل قوته لما يستأنف من وقت حاجته وان ليس سبيل الانسان في اقتناء الاقوات سبيل سائر الحيوان الذي ينبعث في طلب الرعي والماء عند هيجان الجوع وحدوث العطش وينصرف عنهما بعد الشبع والري غير معنيّ بما افضلهُ ولا حافظ لما احتازه ولا عالم بمورد حاجته اليهما بل يحتاج الانسان الى مكان يخزن فيهِ ما يقتنيهِ ويحرسهُ لوقت حاجتهِ فكان هذا سبب الحاجة الى اتخاذ المساكن والمنازل. فلمَّا اتخذ المنزل واحرز القنية احتاج الى حفظها فيهِ ممَّن يريدها ومنعها عمَّن يرومها. فلو انهُ أقام على القنية حافظاً لها راصداً لطلابها اذن أفناها قبل ان يزيد فيها. فاذا (64) اقتنى ثانية عادت حاجتهُ الى حفظها فلا يزال ذلك دأبهُ حتى يصير في مثل حيز البهيمة التي تسعى الى مرعاها مع حدوث حاجتها فاحتاج عند ذلك الى استخلاف غيره على حفظ قنيته فلم يصلح لخلافتهِ في ذلك الَّا من تسكن نفسهُ اليهِ ولم تسكن نفسهُ الَّا الى الزوج التي جعلها الله تعالى ذكرهُ للرجل سكناً وكان ذلك سبب اتخاذ الاهل

ولما يفشى الاهلَ بالامر الذي جعلهُ الله سبباً لحدوث الذريَّة وعلَّة البقاء والنسل حدث الولد وكثر العدد وزادت الحاجة الى الاقوات واعداد فضلاتها لاوقات الحاجة لحتاج عند ذلك الى الاعوان والقوَّام والى الكفاة والخدَّام فاذا بهِ صار راعياً وصار من تحت يدهِ لهُ رعيَّة

فهذه امور قد استوى في الحاجة اليها الملك والسوقة والراعي والمرعيّ والسائس والمسوس والخادم والمخدوم لان كل انسان محتاج في دنياه الى قوت يمسك روحهُ ويقيم جسدهُ والى محرز يحرز فيهِ ذات يده ويأوي اليهِ اذا انصرف عن سعيهِ والى زوج تحفظ عليهِ منزله وتحرز لهُ كسبه والى ولد يسعى لهُ عند عجزه ويونهُ (1 في حال كبرهِ ويصل نسلهُ ويحيي ذكره من بعده والى قوَّام وكُفاة يعينونهُ ويحملون ثقلهُ واذا اجتمع هؤلاء كان راعياً ومُسيساً وكانوا لهُ رعايا وسوَّاماً. وكما ان المسيم يلزمهُ ان يرتاد مصالح ماشيته من الكلاء والماء نهاراً ومن الخطائر والزراب ليلاً وان يُذكي عيونهُ في كلائها ويبث كلابهُ في اقطارها ليحرسها من السباع العادية ومن الآفات الطارقة من السرق والغارة والنهب وان يختار لها المشتى الدفيء والمصيف الريّح ويرود لها في طلب الكلاء

1) يقوم بكفايته

والنُطَف (١ العذاب وان يتحين وقت عملها وان يترقّب حين نتاجها ويلزمهُ بعد ذلك ان يسوقها الى مصالحها ويصرفها عن متالفها بضيقه وصفيره وبزجره ووعيده. فان كفاه ذلك في حسن انقيادها واستقامة خلقها والّا اقدم عليها بعصاه. لذلك يلزم ذا الاهل والولد والخدم والتبع معا يحق عليهِ من حفظهم وحياطتهم ومن تحمّل مُؤنهم وإدرار ارزاقهم إحسانُ سياستهم وتقويمهم بالترغيب والترهيب وبالوعد والوعيد وبالتقريب والتبعيد وبالاعطاء والحرمان حتى تستقيم لهُ قناتهم

فهذه اقاويل مجملة في وجوب السياسة والحاجة اليها وستتبعها بامثلة مفسرة في ابواب مفصّلة بعد ان نقدم قبلها باباً في سياسة الرجل نفسهُ فان ذلك احسن في النظم وابلغ في النفع ان شاء الله تعالى

١ً في سياسة الرجل نفسهُ

ان اول ما ينبغي ان يبدأ بهِ الانسان من أصناف السياسة سياسة نفسهِ اذ كانت نفسهُ اقرب الاشياء اليهِ واركبها عليهِ واولاها بعنايته وكان متى احسن سياسة نفسه لم يعيَ بما فوقها من سياسة الغير (٢. ومن اوائل ما يلزم من رام سياسة نفسهُ ان يعلم ان لهُ عقلاً هو الانس ونفساً امّارة بالسوء كثيرة المعايب جبلّة المساوئ في طبعها واصل خلقها هي المدوسة (65ٌ) وان يعلم ان كل من رام اصلاح فاسد لزمهُ ان يعرف جميع فساد ذلك الفاسد معرفة مستقصاة حتى لا يغادر منهُ شيئاً ثم يأخذ في اصلاحهِ والّا كان ما يصلحهُ غير حريز ولا وثيق. كذلك من رام سياسة نفسهِ ورياضتها واصلاح فاسدها لم يجز لهُ ان يبتدئ في ذلك حتى يعرف جميع مساوئ نفسه معرفة محيطة فانهُ ان اغفل بعض تلك المساوئ وهو يرى انهُ قد عنّها بالاصلاح كان كمن يدمل ظاهر الكلم وباطنهُ مشتمل على الداء. وكما ان الداء اذا قويَ على الاهمال وطول الترك نقض الاندمال وقذف الجلد حتى يبدو لعين الناظر. كذلك العيب الواحد من معايب النفس اذا أُغفل عنهُ كامناً حتى اذا لاح لهُ وجهُ ظهورٍ طلع مكتمنهُ آمنَ ما كان الانسان لهُ. ولمّا كانت معرفة الانسان نفسهُ غير موثوق بها لما في طباع الانسان من الغباوة عن مساويهِ وكثرة مسامحتهُ نفسهُ عند محاسبتها ولأن عقلهُ غير سالم عن ممازجة

١) جمع نُطفة وهي الماء الصافي ٢) وفي الاصل: الامر

الهوى اياه عند نظرهِ في احوال نفسهِ كان غير مستغنٍ في البحث عن احوالهِ والفحص عن مساويهِ ومحاسنه عن معونة الاخ اللبيب الوادّ الذي يكون منهُ بمنزلة المرآة فيريهِ حَسَنَ احوالهُ حسنًا وسيئها سيئًا (لهُ تابع)

مجمع دير المخلّص

المعقود تحت رئاسة البطريرك اثناسيوس الخامس جوهر سنة ١٧٩٠
تولى نشرهُ حضرة الاب كبرلس شارون الروي الملكي (تابع لما سبق)

اليوم السابع في العاشر من تشرين الاوّل . . . في سر درجة الكهنوت

الجلسة العاشرة

انهُ بعد المفاوضة في كل ما يخصّ واجبات هذا السر وفي الاستعداد الضروري وجودهُ في كل من يكون مزمعًا ان يسام بهِ قد حتم اباء المجمع (اوّلًا) بان لا يسام بالدرجات الكهنوتيّة الّا من كان مختبرًا بالتقوى ومشهودًا لهُ ثم انهُ يجب ان يُفحص وان يتعلّم . وان لم يكن لهُ من يعلّمهُ فالاسقف يلتزم بذلك وليكن عارفًا القراءة جيدًا والكتابة المكتة ومن لم يكن كذا فلا يُسام . وان كان موسومًا فلينبّه التنبيه ان كان قانونيًا فمن رئيسهِ ومن الاسقف وان كان علمانيًا فمن اسقفهِ وان لم يتمم ما نُبّه عليهِ بتوانٍ متصود فليقاصص بالرباط حتى يصلح امرهُ وان تقاعد الاسقف والرئيس عن ذلك فليقاصص الاسقف ذاتهُ من السيد البطريرك . واما عمر الذين يرتسمون بالدرجات الكنائسيّة فيجب ان يكون الشمّاس الانجيلي ذا اثنين وعشرين سنة كاملة والقس ذا خمس وعشرين سنة كاملة والاسقف ذا ثلاثين سنة كاملة واما في حين الضرورة فمفوّض التفسيح لامر رؤساء الكهنة وافرازهم . . . (ثانيًا) قد حتم اباء المجمع بان لا يعطى التصريف بالاعتراف دون الفحص وتعليم اللوازم الضروريّة . . . (ثالثًا) بان لا يقدس احد الكهنة بابرشيّةٍ اخرى ولا يمارس ادنى سر من الاسرار بدون اذن الاسقف المكاني او وكياه او الخوري الاعتيادي . وليتّضح لكل الكهنة ان سر التوبة يكون باطلًا حين يُعرّف الكاهن بابرشيةٍ اخرى او بمكانٍ آخر غير خورنيّتهِ بدون اذن الاسقف